

المكايون

بقلم

دكتور فتواد حسين

أو « الحشمونايم » أسرة يهودية لعبت دوراً خطيراً جداً في أحداث الشرق الأدنى التاريخية في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد . أما لفظ « مكاي » فقد يكون لقباً بمعنى « قاذف المطرقة » حشمونا *Asmonaios* أو هو اسم الجد الأكبر « شمعون حشموناي » المؤسس الحقيقي لهذه الأسرة التي توارث أفرادها الملك وجمعت من لفظ « حشموناي » لقباً لساكني ملوكها ابتداء من « أريستوبول *Aristobul* » حتى آخرهم « أنتيجونوس *Antigonus* » وقد مهد لظروف هذه الأسرة في التاريخ « يهودا المكابي » مؤسس الأسرة اليهودية الأولى إبان قيام العهد الثاني أعني الفترة الممتدة من عام ١٤٠ حتى ٣١٧ ق . م . سائراً في الطريق الذي أعده « متنباس » وابنه يهوذا من قبل .

ولمسل الحدث الهام الذي عاون على ظهور هذه الأسرة المكابية هذه الحرب الحاطفة التي قضى بها الاسكندر المقدوني على الدولة الفارسية فبسط سلطانه على آسيا الصغرى وسوريا وفينيقيا كما استولى على « صور » بعد حصار دام سبعة شهور وغزه بعد شهرين أو أكثر قليلاً (أغسطس ونوفمبر عام ٣٣٢ ق . م) ثم مصر بعد دولة يهوذا حيث خرج عدد كبير من اللاويين والكهنة واستقبلوا الاسكندر مباهمين مقدمين له فروض الولاء والطاعة وعلى رأسهم كبير الكهنة « يدوا » وحفيده شمعون . وتحدثنا القصة أن الاسكندر لما استقبل هذا الجمع تحققت رؤية رآها في مقدونيا مفادها أن الكاهن الأكبر وصحبه سيستقبلونه ويأيمونه وهكذا نجد أن أول لقاء بين اليهودية واليونانية كان لقاء موفقاً بالرغم من أن اليونانية وفدت تفيض قوة وعظمة بينما اليهودية عبرت عن الضعف والاستسلام وأطلق على دولة يهوذا الممتدة

بين جبال لبنان شمالاً ومصر جنوباً (سوريا الجوفاء) CoeleSyrien Andromac os
تفرقة بينها وبين سوريا العليا وعين الاسكندر « أندروما خوس حاكماً عليها واتخذ
مدينة السامرة عاصمة له .

إلا أن هذا التعيين لم يلق قبولا عند السامريين الذين وجدوا في اختيار السامرة
قاعدة للحاكم اليوناني تكريماً لليهود خصوم السامريين وأعدائهم الألداء ، لذلك
ثاروا على « أندروما خوس » واعتقلوه وألقوا به في النار في ربيع عام ٣٣١ ق.م.
فأثار هذا العمل حفيظة الاسكندر وغضب غضباً شديداً وقرر أثناء عودته من
مصر المبادرة إلى السامرة لينتقم من هؤلاء الذين سولت لهم أنفسهم اقتراح هذا
الآثم العظيم فقتلهم شر قتله وعين حاكماً جديداً وهو « ميمنون CoumMe »
كما اتخذها من مدينة السامرة وطناً للمقدونيين وأمن في احتقار السامريين وبخاصة
لما علم أنهم أعداء لليهود وأغاظه أحسن معاملة اليهود كما أغدق عليهم كثيراً من
المطايا مما زاد في حقد السامريين عليهم .

واشتهر الاسكندر باحترام عبادات وتقاليد الشعوب التي غزا بلادها من اليونان
حتى الهند ومن أثيوبيا إلى بحر الخزر . ففي مصر قدس « أيس » و « آمون »
وفي بابل آلهة الكلدانيين فقد كان حريصاً على قسام دولة عالية تحت صولجانه
إلا أن منيته عاجلته شاباً وهو يعمل في سبيل تحقيق هذه الأمنية وكان ذلك عام ٣٢٣
دون أن يترك وريثاً لأملاكه أو أفكاره لذلك عمت الفوضى البلاد التي فتحها ودبت
فيها الخصومات بين قواده وقد كان في استطاعتهم المحافظة على الدولة المقدونية
لو اتحدوا إلا أن الانانية غلبت على خلافاته فقسمت الدولة للمقدونية إلى دويلات كل
ولاية تحت إمرة حاكم خاص . ففي مصر البطالمة حيث تجدد بطليموس الأول
« سوتير Soter » وقد نجح في ضم « سوريا » الجوفاء « كوليسيرين » وإقليم
يهودا إلى مملكته ثم هاجم أورشليم واستولى عليها وساق كثيرين من سكانها أسارى
إلى مصر من بينهم عدد كبير من السامريين .

إلا أن حليف بطليموس واسمه « أنتيجونوس Antigonus » كان يطمع في

التغلب على سائر حكام أجزاء الإمبراطورية المقدونية وبيعها بعتاً جديداً تحت حكمه وبعد عدة سنوات قضاها في الاستعداد للحرب فنشبت معركة « غزة » في ربيع عام ٣١٢ ق . م . بين ابن « أنتيجونوس » واسمه ديمتريوس Demetrios وبين بطليموس وقد أبلى فيها أحد اللاجئين إلى بلاط بطليموس واسمه « سلويكوس Seleukos » بلاء حسناً فاعتبر تاريخ موقعة « غزة » بدأ تقويم جديد يعرف باسم التقويم السلوقي أو اليوناني واتخذ اليهود أيضاً تقويمياً لهم واستخدموه زمناً طويلاً ، وقد اضطر « ديمتريوس » بسبب الهزيمة الفادحة التي لحقت به في غزة إلى الفرار شمالاً فمكّن المنتصر من احتلال جميع البلاد لكن لم يمض زمناً طويلاً حتى وحد « أنتيجونوس » وابنه « ديمتريوس » جيوشهما واستعدوا لشن هجوماً خاطفاً على بطليموس وقد تحقق للوالد وابنه ما أراداه واضطرا بطليموس إلى التراجع فخرّب الحصون القائمة في المدن الساحلية والداخلية مثل « عكا » و « يافا » و « غزة » و « السامرة » و « أورشليم » حتى لا يستخدمها العدو حصوناً يحمي فيها وظل حال إقليم يهوذا والأراضي الأخرى التابعة لإقليم « سوريا الجوفاء — كوليسيرين » مضطرباً عدة سنوات حتى خر « أنتيجونوس » قتيلاً في موقعة « أبسوس Ipsos » بآسيا الصغرى صيف عام ٣٠١ ق . م . إذ التحم فيها بالقيادة الأربعة « بطليموس » و « ليسياخوس Lysimachos » و « كسندر Cassander » و « سيلويكوس Seleukos » وقد قسم هؤلاء الأربعة الدولة المقدونية فيما بينهم فحصل بطليموس على مصر والبلاد للتأخة لها . أما « سيلويكوس » فبسط سلطانه على معظم آسيا حتى نهر السند وفارس . وهكذا نجد إقليم « يهوذا » يصبح خاضعاً لدولة بطليموس . أما اليهود في المدن البالية — والفارسية فقد خضعوا لحكم « سيلويكوس » . وبلغ من تسامح مصر أن عينت كبير خايمي اليهود في إقليم يهوذا إلى جانب رئاسته الدينية جاليا للضرائب وحاكماً سياسياً . وأدرك بطليموس الأول أن الاسكندرية التي أسسها الاسكندر واتخذها لأول مرة الملك المصري المقدوني عاصمة له في حاجة إلى سكان وقرر ترغيب اليهود من سكان الأقاليم المجاورة في استيطانها مستغلاً حالة

الفوضى والاضطراب التي عمت إقليم يهوذا وما جاوره بسبب حروب « أنتيجونوس » واستقدم عدداً كبيراً من اليهود وأسكنهم الاسكندرية كما ساوى الملك بين هؤلاء اليهود والسكان المقدونيين في الحقوق والواجبات وهكذا نشأت جالية يهودية مصرية ولم تقتصر إقامة اليهود على الإسكندرية بل انتشروا كذلك في مدن مصرية أخرى امتدت حتى إقليم برقة .

وحذا جذو بطليموس في مصر « سولويكوس » مؤسس الدولة السلوقية بخاصة في فارس حيث حصل أيضاً على شمال سوريا وشيد هناك « أنطاكية » حوالي عام ٣٠٠ ق م . واتخذها عاصمة له وحاول أن يعمرها وغيرها من المدن التي شيدها بالسكان فنقل إليها كثيرين من اليهود فوفدوا عليها رغبة أو رهبة كما جاء بهم من بابل وفارس ومنحهم نفس الحقوق التي يتمتع بها المقدونيون في تلك البلاد .

وهكذا نجد يهودا يستوطنون بلاداً ويتعايشون مع سكان يونانيين مقدونيين ونجد يونانيين مقدونيين يستوطنون بلاداً ويشاركون قوماً من اليهود فقامت على امتداد ساحل البحر الأبيض المتوسط موانئ جديدة ووجدت أخرى قديمة تطلق عليها أسماء يونانية وينشط خلفاء الاسكندر إلى تحقيق أمنيته الخاصة بمزج الشرق والغرب وكان الخلفاء في تخطيطهم هذا يخضعون للوضع والظروف السائدة في الشرق والغرب وأصبح إقليم يهوذا محاصراً من جميع الجهات بسكان يربطون اليونانية كما أصبحت اللغة السائدة في المستعمرات الفلسطينية هي اليونانية كذلك الحال مع الأخلاق والمبادئ فضائلها ورذائلها . إلا أن فقر إقليم يهوذا جعله زمنياً ما إقليماً غير مرغوب فيه كما نظر اليونان إلى يهوده نظرتهم إلى المنبوذين وظل الإقليم وسكانه بعيدين عن التطور الجديد الذي طرأ على المنطقة كما أن حياة الاستعباد ومصادرة الحريات وتحديد العبادات والحجر على الأفكار التي يحياها اليهود وقتذاك حالت دون ظهور شخصية قيادية تطلق الحرية المكتوبة وتفك أغلال الكلمة والأمال الحبيسة لذلك نجد اليهودي الخاضع لجميع هذه الظروف يتطلع إلى الخارج منتظراً مجيء « المخلص » الذي يأخذ

بيده من حياة الاستعباد إلى حياة الحرية وهذا « المخلص » ليكن من بابل أو فارس
أو أى بلد آخر . إن وضع اليهودى فى إقليم يهوذا حال دون اتصاله ببلاد
العالم الخارجى وذلك لأن بابل وفارس تخضعان لحكم البيت السلوقى العدو للعدو
لبطليموس .

إلا أن الشعب الذى يعتمد فى سبيل خلاصه أو تطوره على غيره فقيرة ولا شك
إلى القضاء لمجزه عن خلق مقومات كيانه وتطوره .

وفى هذه الفترة الحرجة فى تاريخ اليهود ظهر « المخلص » المنتظر الذى طالما
انتظره اليهود أعنى « شمعون القانونى » بن « أونياس » الأول الذى ذاعت شهرته
وعلى مكاتنه فى الفترة الممتدة ما بين ٣٠٠ - ٣٠٠ ق. م. تقريبا وقد كان الحاخام
الأكبر الوحيد الذى ينتمى إلى بيت « يشوع » أو بيت « يندق » وكرس حياته
للمحافظة على معنويات اليهود كما أعاد بتصریح من الملك الحاكم تشييد أسوار أورشليم
التي هدمها بطليموس الأول وأهتم كذلك بتوفير المياه للمدينة وبخاصة بعد أن تشدد
اللاويون فى كثرة الفصل والطهارة لإقامة الفرائض الدينية ونجح « شمعون » فى
حفر نبع تحت المعبد وأوصله عن طريق قناة تحت الأرض ببيع « إيتام Etam »
بالقرب من أورشليم ، وهكذا أمن المدينة غائلة العطش لو حاصرها العدو . وتوفى
« شمعون » وترك طفلين فتاة اقترنت بشخص يدعى « طويا » وولدا يدعى « أونيا
Onia » (اسم جده) وتمرضت بلاد يهوذا وما جاورها من البلاد لحروب دائمة
بين السلوقيين الثانى والثالث والراج وبين كل من بطليموس الثانى والثالث فى سبيل
الاستيلاء على « سوريا الجوفاء - كاليسيرين » إلا أن - يهوذا وسوريا الجوفاء
ظلنا تابعتين لمصر . وحدث أن « سيلوكس الثانى - كالينيكس Kallinikos »
حاول تأليب سكان تلك الإقليم على مصر لزعها منها ونجح فى اتخاذ الحاخام
الأكبر « أونياس الثانى » مساعدا له فامتنع هذا الحاخام عن تسديد الضرائب
التي كان يجبها لمصر وإن كانت فى الواقع ضرائب رمزية فقط تدفع سنويا لبطليموس
فأكان من بطليموس الثالث « اويرجيتيس Euergetes » إلا أن حذر لليهود من

مغبة عملهم هذا الذى يتم عن العصيان والانسلاخ عن مصر ، إلا أن نصحه ذهب مع الريح فهدد اليهود بتقسيم إقليم يهوذا وتوزيعه بين عدد من الأجانب وأرسل إلى اليهود مندوباً خاصاً يدعى « أثنيون Athenion » يبلغهم هذا الإنذار فاستولت الحيرة على اليهود وحاول يهود أورشليم اقناع الحاخام الأكبر الإقلاع عن موقفه والمودة إلى صوابه إلا أن « أونياس » رفض التراجع وصمم على موقفه وفي هذه الفترة الحرجة ظهر رجل صلب العود قوى العزيمة اسمه « يوسف » وهو حفيد الحاخام الأكبر البجد « أونياس » وأبوه « طوبيا » الذى اقترن بابنة « أونياس » الأكبر وعارض « يوسف » خاله الحاخام الأكبر والزعيم السياسى فى موقفه هذا من مصر ولم يكذب يسمع بوصول مندوب بطليموس حتى سارع إلى أورشليم وهاجم خاله هجوماً عنيفاً لأنه بإصراره على عدم دفع الضرائب الرمزية سيعرض اليهود لأكبر كارثة وظل الحاخام الأكبر مصراً على موقفه فما كان من « يوسف » إلا أن طلب السفر إلى الاسكندرية لعرض المسألة على بطليموس والقيام بدور الوسيط فوافق أونياس على سفره إلى مصر فجمع يوسف اليهود فى ساحة المبعد وعرض عليهم الأزمة المستحكمة بين خاله وبطليموس وأحتكم « يوسف » إلى اليهود فى تمثيله وإنقاذه من النكسه التى قد تقضى عليه ومنحه الشعب ثقته ونادى به زعيماً مفوضاً عنه وكان ذلك حوالى عام ٢٣٠ ق. م. فما كان من « يوسف » إلا أن أولم وليمة كبرى للمندوب المصرى الممثل الشخصى لبطليموس وهو « أثنيون » وقدم له كثيراً من الهدايا ورجاه أن يبلغ بطليموس أنه سيحضر قريباً إلى مصر ومعه الضرائب المطلوبة . ولم يكذب نائب بطليموس يترك أورشليم عائداً إلى مصر حتى شرع يوسف فى اتصالاته بأغنياء السامريين من أصدقائه ورجاهم إمداده بالأموال المطلوبة فضلاً عن أنه فى حاجة إلى أن يظهر فى مصر عندما يمثل أمام بطليموس بالمظهر اللائق فهو فى حاجة إلى ملابس فاخرة ومطية بعض الأموال الخاصة لإقامة الولائم . وقد لجأ يوسف إلى السامريين لأنهم كانوا تجاراً وأحسن حالا من سكان يهوذا الذين كانوا يعيشون على الزراعة .

ولما عاد « أثينيون » إلى مصر اتخذ الإجراءات للحفاوة بـ « يوسف » فأعد له القصر استقبالا عظيما كما ازداد بطلميوس اشتياقا للملاقاته والاحتفاء به واتفق وصول يوسف مع الاجتماع العام في القصر الملكي لسائر موظفي الضرائب لتوريد ما جمعه وكان قليلا وقد أدرك يوسف هذا من قبل فضاعف المبلغ المطلوب من اليهود عادة فضلا عن الهدايا الكثيرة فاستولت الدهشة على موظفي الضرائب في مصر والذين كانوا ينظرون إلى اليهود على أنهم فقراء ومعدمون وطالب بطلميوس يوسف بتقديم الضمانات الكافية للوفاء بالضرائب مستقبلا فأجابه يوسف أيضا بغير اثنين في العالم الملك فأعجب بطلميوس بنباهة يوسف وعينه جابيا للضرائب من سائر مدن سوريا الجوفاء (كوليسيرين) وفينيقيا فاستجاب يوسف إلا أنه رجا بطلميوس أن يعده بنحو التي جندى عوناً له لجباية الأموال ، فحقق له بطلميوس رغبته وهكذا نجد يوسف ونحت إمرته جيش يمكنه من أن يكون الحاكم الحقيقي لتلك البلاد وحدث مرة في غزة وغيرها إن السكان اليونانيين امتنعوا عن دفع الضرائب فاستولى يوسف على أملاكهم وصادر أموالهم لحساب ملك مصر .

وظل يوسف في هذا المنصب نحو اثنين وعشرين عاما جمع خلالها ثروات طائلة وسلطانا واسعا وبعد وفاة بطلميرس أويريجيتس خلفه بطلميوس الرابع « فيلوباتور Philopator » (٢٢٢ — ٢٠٦ ق. م.) فاحتفظ بيوسف وأبقاه في منصبه . وفي عهد هذا الملك دب الضعف في مصر فاتهم الملك السلوقي « أنطيوخوس Antiochus » هذه الفرصة واستولى عام ٢١٨ ق. م. على « كوليسيرين » وسماريا إلا أن أقليم يهوذا وأورشليم وبخسها ابن طوبيا وهو يوسف ظلا مخلصين لمصر . ثم دار القلك دورته وعاد النصر محالفا مصر وهاجم بطلميوس فيليباتور الحصم العنيد ودحره بالتقرب من « نيفيا Naphia » واضطره إلى التراجع إلى أنطاكية وعادت « كوليسيرين » ثانية إلى أحضان مصر وهكذا كان هذا النصر للمصري نصراً ليوسف أيضا الذي ظل في منصبه حاكما على يهوذا وأورشليم باسم ملك مصر .

وبقاء يوسف في منصبه وعلاقته الحسنة مع مصر ومهارته في جباية الأموال أثر كل هذا تأثيرا كبيرا في المجتمع اليهودي إذ أثرى ثراء فاحشا وبخاصة أولئك اليهود الذين على صلة بيوسف وذهب يوسف بعيدا فأثر أبناء ملته على غيرهم فعينهم جباة للمال وكان كل يحصل حسب هواه فارتفع مستوى الحياة اليهودية وأقبلت الدنيا على اليهود . وإذا أضفنا إلى هذا الثراء ما يترتب عليه من أثر بالغ في الروح المعنوية بسبب جيش مصر الذي كان هناك تحت أمرة يوسف واستغله في سبيل القضاء على نفوذ وسلطان السكان الجوثيم أعنى غير اليهود من فلسطينيين وفينيقيين وآومثيين ويونانيين ومقدونيين أدركنا مدى الثروة الذي ملأ اليهود لشعورهم بأنهم السادة الأقوياء وليسوا العبيد الأذلاء ، فاليهود بانصالحهم بمصر وملك مصر والشعوب الأجنبية الأخرى أداروا ظهرهم لمستواهم الوضيع فهجروا الأحياء القذرة التي كانوا يحيون فيها إلى منازل تحاكي منازل اليونان والمصريين وغيرهم من حيث البناء والزخرفة وقد تقل يهود إقليم يهودا وأورشليم كثيرا من ضروب الثقافة عن يهود الإسكندرية الذين استقروا منذ قرن أو أكثر في مصر وتثقفوا الثقافة المصرية الهلينية وبالغ اليهود في تقليد اليونانيين حتى في عاداتهم كما أن الثراء الذي وقع على يوسف جعله لا يتورع عن السير في طريق النوايا فضحى بحياته العائلية وأقام الأعياد لإله الحجر اليوناني « ديونيوس Dionysios » وذهب انحراف المجتمع اليهودي بعيدا فشك اليهود في عقائدهم الدينية وأحكامهم الشرعية مستنكرين صحة الرأي القائل إن الله حرم على الإنسان الأخذ بأسباب الحياة والتمتع بمباهجها وكيف يعتبر الله هذا الحرمان تقربا إليه وعبادة ؟ وهكذا نجد آراء « إبيقور Epikur » القائلة بالتمتع بالحياة والأخذ بأسباب الفرح والمرح تجد صدى عميقا في نفوس اليهودا سواء في مصر أو في يهودا أو أورشليم . ففلسفة أبيقور هذه والتي يعبر عنها أحيانا بفلسفة دعنا نفرح أو « جوديا موس Gaudiamus » قد تكون هي التي نجد صداها في سفر الجامعة وغيره من أسفار الحكم والأمثال والنتيجة المحتومة لهذا الانهيار الخلقى وبخاصة في أسرة يوسف أن أبناء السبعة من زوجته الأولى وابنه غير الشرعى المسمى

« هيركانوس Hyrkanos » كانوا دائما في نزاع مستمر السبعة ضد الأصغر « هيركانوس Hyrkanos » الذى امتاذ على إخوته الآخرين بالشئ الكثير من الذكاء والدهاء حتى أحبه والده وفضله على سائر إخوته وحدث أن رزق الملك بطليموس فيلوباتور بابن هو بطليموس الخامس « إيفانيس Epiphanes » وأوفد حكام الولايات المصرية المختلفة سواء في أفريقية أو آسيا وفودا لتهنئة الملك بولمده الجديد كما أرسل يوسف ابنه « هيركانوس » ممثالا له في تقديم تهنائه إعترافا منه أن « هيركانوس » هو خير من يحقق هذه الرسالة وقد نجح التلام فلما في سفارته وكسب عطف الملك وجبه فأنار هذا حفيظة أخونه الذين أجمعوا أمرهم على التخلص منه واغتياله فأعدوا له كميناً لتحقيق أمنيته عند عوته إلا أن هيركانوس تصدى لهم مع حرسه الخاص وقتل اثنين من إخوته السبعة واختلف « هيركانوس » مع والده فترك أورشليم وعاد فيها يرجع إلى الإسكندرية .

وحوالى عام ٢٠٨ ق م . توفى يوسف حفيد شمعون القانونى وحل محله ابنه هيركانوس لسكانته من ملك مصر فإزداد حقد إخوته عليه فتألبوا عليه واضطر إلى الذهاب إلى الإسكندرية ومن سوء حظه إن ملك مصر الذى كان يقدره ويحبه توفى عام ٢٠٦ ق م . فاتهمز أنطيوخوس Antiochos حاكم سوريا و « فليب » حاكم مقدونيا الفرصة لتقسيم مصر وأملا كها فيما بينهما . وانضم إلى أنطيوخوس أبناء يوسف حقداء على مصر وأخيهم « هيركانوس » وفتحوا أبواب أورشليم للملوك سوريا فاشتهروا بالحيانة ليهوديتهم وهكذا سقطت يهوذا وأورشليم في قبضة السلوقيين عام ٢٠٢ ق م . وتعرض اليهود في يهوذا وأورشليم لويلات الحرب والسبي والتشريد هذه الحرب التى اشتعلت بين السلوقيين والبطالمة . وقد أدت هذه الأوضاع إلى خلق جماعة من اليهود الموالين لليونانية أو الهلينية وكانوا من أغنياء اليهود وعظمائهم لذلك كانوا حزبا قويا انضم إليه شخص يدعى « يشوع » وهو ابن الخمام الأكبر وكانت ليشوع هذا أو كما تسمى أيضا « يسون Jason » مكانة مرموقة بين رجال الدين فكسب هذا الحزب قرا من الحاخاميين الذين يدعون أنهم من

سلالة هرون كما تزعمه أيضا بعض أبناء يوسف الذين بقوا على قيد الحياة واحفاده وأبناء طوبيا وتطرف أعضاء هذا الحزب في عدائهم لخصومهم وولائهم للهيلينية فتنكروا للشرعية اليهودية وعادات اليهود وتقاليدهم وذهبوا بعيدا ففكروا في القضاء على الشرعة ليسهل عليهم كسب اليهود بعد ذلك إلى الهلينية ثقافة وجنسا وعقيدة اعنى تحويل اليهود إلى يونانيين وثنيين .

وقد عارض هذا الاتجاه عدد من اليهود المحافظين وكونوا الجماعة المعروفة في التاريخ اليهودى العقائدى « الحسيديم » الذين يعارضون التفكير في تحويل أى شىء دينى لإيمانهم الشديد بقديسه ومن زعماء هذه الطائفة « يوسف بن يوحنا » أحد أبناء أورشليم وكذلك يوسف بن يوعيزر وقد أسس كل منهما مدرسة دينية أحدهما اهتمت بالشرعة من الناحية النظرية وأخرى من الناحية التطبيقية واحتدم النزاع بين اليهود التقدميين المؤمنين بالآراء والمذاهب اليونانية الهلينية وبين الرجعيين المحافظين واستخدم التقدميين القوة في سبيل فرض آرائهم الثورية إبان حكم « انطيوخوس إبيفانيس » (١٧٥ - ١٦٨ ق.م) على سوريا الذى هالته حالة الفوضى فى المجتمع اليهودى فناصر التقدميين دعاة الهلينية على خصومهم اليهود المتمسكين .

ولم يقف الأمر عندهذا بل رجا أنصار الهلينية للكم منع اليهود الذين اشتروا فى التدريبات الرياضية اليونانية حق المساواة مع المواطنين أصحاب الحقوق الكاملة أعنى يصيرون « أنطيوخيين » أو « مقدونيين » أو الحقوق الكاملة للمواطن الذى له الحق فى المشاركة فى سائر أوجه النشاط اليونانية العامة وذلك لأن هذه الألعاب الرياضية اعتبرها اليونانيون وقتذاك واجبا هاما من ضروريات الحياة والمشاركة فيها تكسب غير اليونانى الحق فى أن يتمتع بسائر امتيازات المواطن اليونانى وقد يصل إلى مرتبة الإشراف وهكذا نجد ساحات الألعاب الرياضية تقام فى أورشليم ويشترك فيها بعض اليهود ، والتدريب على هذه الألعاب الرياضية مثل القفز والمصارعة ورمى القوس وغيرها يتطلب من الذى يمارسها أن يتجرد من ملابسه وهذا يكشف

عورة لليهودى والختان الذى يميزه عن سائر الشعوب وهنا يتعرض اليهود الذين يشاركون فى الألعاب الأولمبية إلى سخرة اليونانيين مما اضطر اليهودى إلى إجراء عملية جراحية تخفى ولو ظاهرياً هذا الختان الذى ثبت يهوديته كما أن الشبان الذين كانوا يؤدون بعض الخدمات فى المعبد اضطروا إلى تركها لاهتمامهم بهذه الألعاب الرياضية .

وقد آلم هذا التطور فى المجتمع اليهودى المتدينين منهم إلا أنهم كتبوا غيظهم بالرغم من التحدى فى الانحراف عن الشريعة اليهودية وبخاصة اشتراك اليهود فى هذه الألعاب وتقديمهم القرابين إبان الاحتفال الأولمبى لإله الألعاب الأولمبية إلا وهو « هيروقليس Herakles » وهذه ولا شك طقوس وثنية وتقديس لصنم من الرخام جعلت الانفجار الثورى قاب قوسين أو أدنى ضد اليونانيين لذلك سارع الملك « أنطيوخوس » ، وهاجر أورشليم ناقماً على اليهود وشريعتهم وسقى أرضها بدمائهم ولم يرحم ذكراً أو أنثى شيخاً أو وليداً ، وإمعاناً فى احتقار هذه العقيدة اقتحم المعبد وجرده من كل ما هو ثمين فيه مثل المذبح الذهبى ولشمعدان والموائد وسائر الأواني الذهبية ويلاحظ أن الحاخام الأكبر الذى عينه « أنطيوخوس » ألا وهو مينيلوس Menelaos » كان هو المرشد للملك وقاده إلى هذه الأمسكة ومكنه من الاستيلاء على كنوز المعبد وأدواته وشاع فى ذلك الوقت أن أنطيوخوس شاهد فى الهيكل صنماً لرجل له لحية طويلة يجلس على حمار وفى يده كتاب واعتقد أن هذا الصنم يمثل موسى الذى جاء إلى اليهود بشريعة مستبعدة تبعد بين اليهود وسائر البشر فتشتر البغضاء والشر وقد وجدت هذه الفكرة طريقها إلى اليونان والرومان الذين اعتقدوا أن اليهود يقدسون فى شريعتهم الحمار . ويذكر عن أنطيوخوس أيضاً أنه شاهد فى المعبد يونانياً ينام على سرير وقص على الملك أنه جرت عادة اليهود أن يأتوا كل عام يونانى ويظعموه زمناً ما ثم يذبحوه ويأكلوا أمعاءهم كما أنهم يقسمون بكرامية اليونان والعمل على إبادتهم فكانت هذه الشائعات من أقوى الأسلحة التى استخدمت ضد اليهود .

وهكذا بسط الحزن جناحيه على أورشليم مما اضطر اليهود إلى الهرب منها وأصبح الحاخام راعياً بلا رعية ، وقرر (انطيوخوس) تحدى آله إسرائيل والتغلب عليه فأصدر الأوامر إلى سائر المدن اليهودية يدعو اليهود إلى ترك يهوديتهم وعبادة آلهة اليونان فقط كما طالب باقامة المذابيح والنصب والتماثيل اليونانية لتحقيق هذه الرغبة وبالف انطيوخوس في اضطهاد اليهود فطأ اليهم بأكل اللحوم التي تحرمها شريعتهم وبخاصة الخنزير .

وتعتمد الشريعة اليهودية على ثلاثة عناصر الختان ، وتقديس السبت والأعياد ، وأخيراً عدم أكل طعام غير اليهود وكلفت حكومة انطيوخوس موظفيها بضرورة الحرس على مراقبة تنفيذ أوامر الحكومة القاضية بمنع اليهود من مباشرة تعاليم شريعتهم وطقوسهم الدينية وكل يهودى يضبط متلبساً بمخالفة هذه الأوامر يحكم عليه بالاعدام .

وبدأ (انطيوخوس) بالمعبد في أورشليم فأرسل أحد كبار أتباعه إليه فحول الهيكل إلى مكان لعبادة « زوريس » وقدم خنزيراً على المذبح قرباناً ورش دمه على المذبح وعلى قدوس الأقداس وطبخ لحم الخنزير وصب الساء الذى طبخ به على صفحات العهد القديم أما لحم الخنزير المطبوخ فقد طلب إلى الحاخام الأكبر (منيلايوس Menelaos) وغيره من اليهود المتأثرين بالهيلينية أكله . أما التوراة المحفوظة بالمعبد فقد أحرقت لأنها تدعو إلى إشاعة البغضاء بين الناس لذلك طهوها بالنار وحرقتها ثم وضعت صورة (زوريس) على المذبح لتقدم إليها القرابين مباشرة وكان ذلك في ١٧ تموز — يولية — ١٦٨ ق . م . وقد وصلنا المزموران ٤٤ و ٧٤ وهما يسجلان هذه المعاملة التي لاقاها اليهود واليهودية ولم يقف الأمر عند هذا فقد أصدر « انطيوخوس » مرسوماً يقضى بإعدام كل شخص يعلن أنه يهودى كما حرم على اليهود أن يطلقوا على أنفسهم يهودا .

* * *

وفي هذا الجو العاصف الداكن ظهرت أسرة اشتهر أفرادها بالتدين والتمسك
بالشريعة وأحكامها وهى تعرف بإسم أسرة الحشموناييم او المسكاييم ربها رجل خط
الشيب رأسه وخمسة أبناء فدائيين أعلنوها ثورة عارمة على السكفر والإلحاد وآلوا
على أنفسهم إلا أن يذودوا عن عقيدة الآباء والأجداد التى خلفوها لأحفادهم . أما
الوالد فيدعى « متاتيا هو » أى عطية الله ابن يوحنا بن شمعون حشموناي وهو
من نسل هرون كان يقيم فى أورشليم ولما استفحل فيها الخطب وزاد الاضطهاد
هجرها إلى « مودين Modin » الواقعة على بعد واحد وعشرين كيلومترا شمال
أورشليم وأخذ وأولاده الخمسة يعملون جادين فى رفع معنويات اليهود التى كانت قد
انحطت وفقدت كل أمل فى استرداد كل ماضع من حرية وعقيدة وكرامة . وكان
هؤلاء الأبناء الخمسة يحملون ألقاباً آرامية رنانة مثل (يوحنا جدى) و (شمعون
طرسى) و (يهودامكابى) و (اليعازر أفران) و (يوناثان أفس) وقد وجد هذا
البيت الحشموناي كثيرين من الأنصار الراغبين فى الثأر لأنفسهم ولمعديتهم وآلوعلى
أنفسهم النصر أو الموت وكان هذا هو شعار (متاتيا هو) .

وحدث أن أحد الموظفين المسكفين بمراقبة اليهود ومعاينة الذين تثبت عليهم
تهمة التمسك بالعقيدة اليهودية والانحراف عن الهلينية واسمه (إيبليس Apelles)
جاء إلى (مودين) والتقى بـ (متاتيا هو) وطالبه بوجوب مراعاة الأوامر الرسمية
الخاصة بالإقلاع عن اليهودية واحترام الهلينية فأجابه (متاتيا هو) غير هيب أو وجل
(لو آمنت جميع الشعوب التى تقيم فى مملكة (انطيوخوس) ملك سوريا بالهلينية
وانحرفت عن اليهودية دين الآباء والأجداد فإنى وسائر الأنصار سنظل أوفياء لليهودية
وإذا تجرأ يهودى وتقدم إلى المذبح لتقدیس (زويس) سأقتله إلى جوار المذبح وهجم
اولاد (متاتيا هو) بالمدى على (إيبليس) وأعوانه وقتلوهم كما هدموا المذبح فكانت
هذه الحادثة إشارة الثورة وتحول اليهود من السلبية والاستسلام إلى الحركة، وصاح
متاتيا هو : من يؤمن بشريعتنا يقبض فانضم إليه سائر سكان (مودين) وما جاورها
واعتصموا جميعهم ببجل إفرایمؑ كما انضم إليهم أيضاً نفر من الحسيديم وأخذ عدد أفراد

المقاومة يزايد يوماً بعد يوم فاندفع متتياهاو إلى مختلف الجهات محطاً المذابح الهلينية وإذا ما التقى بجماعة من الجنود السوريين هاجمهم وكبدهم بمض الحسائر وهكذا لاخذ متتياهاو يياشر حرب الكر والفر ضد العدو واحتفى بالجبال .

ولما وافى القدر المحتوم عام ١٦٧ ق.م . متتياهاو عين ابنه الأكبر شمعون مستشارا — وأسند قيادة الحرب إلى ابنه الصغير « يهودا مكابي » وكان من خيرة الرجال المسكرين الذين عرفهم الشعب اليهودى . وفى عام ١٦٦ ق .م . التحم « يهودا مكابي » ولأول مرة مع فرقة من الجنود السوريين تحت قيادة « أبولونيوس Apollonios » وحالف النصر فيها « يهودا » وقتل أبولونيوس إلا أن ملك سوريا أنطيوخوس أرسل جيشا آخر بقيادة هيرون Heron لضرب يهودا وجيشه وكان جيش هيرون يضم عددا من اليهود المناصرين للهلينية وأرشدوا جيش « هيرون » إلى أقصر الطرق وأصلحها للوصول إلى يهودا وما كاد رجال يهودا يصرون هذا الجيش حتى دب الرعب فى صفوفهم وكادوا يولون الأدبار لولا أن يهودا خاطبهم قائلا اذكروا السكنوز الثمينة التى ستدافعون عنها اذكروا أبناءكم اذكروا حياتهم اذكروا عقيدتنا فكان لهذه المبرات وقع ساحر فى نفوسهم وكروا كرة رجل واحد على جيش « هيرون » عند « بيت هورون » ودحروه وأدرك ملك سوريا أنطيوخوس أنه أساء تقدير قوة خصومه لذلك عاود التفكير فى إلثاار لجيشه فقرر التخلص نهائيا من سائر اليهود المقيمين فى مملكته ولتنفيذ هذه الخطة رأى أن يحشد أولا جيشا تحت قيادة « لزياس Lynias » ويسير به إلى يهودا ويقضى عليه وإذا تحقق له هذا النصر تحول إلى البقية الباقية من اليهود وآثارهم وطهر البلاد منهم نهائيا وفيما يتعلق بأورشليم رأى أن ، يهدمها ويزيلها من الوجود ويأتى بجماعات أخرى غير يهودية ويورثهم هذه البلاد ولم يستن الملك انطيوخوس من عملية الإبادة هذه اليهود الموالين للهلينية وله . ولم يكدهم يعلم اليهود بما يبيتهم لهم انطيوخوس حتى انقلب خوفهم شجاعة وترددهم إقداما وذلك لأنه لم يبق أمامهم إلا الدفاع عن أنفسهم (وساعد على رفع الروح المعنوية بين اليهود ظهور كتابين هاميين إلا وهما « سفر دنيال » و « سفر استير »

والسفران صدرتا عن هيتين إسرائيليتين مختلفتين فسفر دنيا وضمتها جماعة الحسيديم
الذين يؤمنون بأن المصيبة التي أصابت اليهود حلت بهم بسبب انحرافهم الديني ولو
تابوا وأنابوا فينصرهم الله فالسفر أقرب إلى الروح الصوفية والإيمان بالمعجزات
منه إلى التاريخ وسير الآباء الأولين .

أما سفر استير الذي يخلو حتى من ذكر اسم الله فقد وضع لغير رجال الدين ،
المؤلف يكتبني بذكر قصة اضطهاد دين في قديم الزمان وفي بلاد فارس ثم انتهت
المؤامرة بانتصار اليهود وهزيمة خصومهم .

ثم نجد « ليزباس » ومساعديه يقودون جيشاً قوياً ضد يهودا وأخذوا معهم تجار
الرقيق والأغلال لشراء أسرى الحرب من اليهود بعد المعركة وجمع يهودا المسكبي
رجاله واستعدوا للملاقاة العدو واجتمعوا أولاً لإقامة صلاة وهناك جاءوا بالتوراة
ونشروها بين الجنود وصاح يهودا في رجاله أن « أنطيوخوس » يريد أن يمحى
التوراة ويقضى على عقيدتنا ويحولنا إلى وثنيين فأشعل نار الحماس في صدورهم وقسم
جيشه إلى ثلاثة أقسام وعين على كل قسم أحد إخوته وأعلن أن كل شخص حديث
التأهل أو زرع كرامة أو لا يرغب في القتال فلينصرف حسب تعاليم الشريعة وأقبل
المهلينيون لمهاجمة يهودا المسكبي واختار قائد هذا الجيش السوري الليل بظلامه الدامس
وقتنا للهجوم واكتشف يهودا المسكبي هذه الخطة فقرر إحباطها وذلك بالانسحاب
ليلاً سرّاً والتف حول العدو وقلب جيشه في ظهره فلما هجم السوريون على اليهود لم
يجدوا واحداً فاعتقد قائد الجيش السوري واسمه « جورجياس » Gorgias إن اليهود
خافوا وهربوا في الجبال وقرر أن يلاحقهم وفي الجبل انقض المسكبي على السوريين
من الخلف فأحرق معسكرهم وواصل الهجوم عليهم - ولم يكذب بنزع نور الصباح حتى
تبين جورجياس أن اليهود يهاجمونه من الخلف فأصدر أمراً إلى عدد من جنوده
بالصمود وخوض معركة انتحارية ضد المسكبي الذي صاح في جنوده « باسم الوطن
والشريعة والمقدسات » أما أخوه الأصغر فأخذ يرتل بعض الآيات من التوراة ثم صاح
« المسكبي » الله معنا » وأحرز يهودا نصراً على السوريين عندما ماوس Emmaus وعاد اليهود

إلى «مودين» مركز تجمعهم ثانية . إلا أنهم توقعوا أن «ليزياس» الذى قد صدر له الأمر بإبادة اليهود قد يعاود الكرة عليهم ثانية وفى خريف عام ١٦٥ ق . قبل «ليزياس» على رأس جيش آخر وعسكر عند «بيت صور» على بعد مسيرة خمس ساعات جنوب اورشليم إلا أنه فضل الانسحاب على الاشتباك مع اليهود فى معركة قد تكون نتيجةها هزيمة تنقذ هزيمة موقعه «اماوس» وهكذا بعد نحو ثلاثة أعوام ونصف العام منذ اندلاع نيران الحروب بين الطرفين حل نوع من للهادنة وانتهز المكابى وأعوانه هذه الفرصة واقتضوا على اورشليم ليظهرها من رجس الجويم فحطموا التماثيل والنصب وكل ما يتعارض مع الشريعة وتعاليمها وشيدوا مذبحاً جديداً عوضاً عن الآخر الذى دنسه الجويم كما جاءوا للمعبد بآنية جديدة وقد استغرقت عملية التطهير وإزالة النجاسة ثلاثة أسابيع ، وفى صباح ٢٥ كسليف (نوفمبر ١٦٥ ق م) أقيمت حفلات التكريم وطهارة للمعبد كما قدمت القرابين وهذا العيد يقام حتى اليوم ويعرف باسم عيد «خنوكا» أى «تقديس» أو تدشين وهو ثمانية أيام يضاء فيه شمعدان أو «منارة» ذو ثمانية أذرع فهو عيد النور ويضاء عادة كل يوم من أيام العيد ذراع «قنديل» تخليداً لذكرى انتصار اليهود على الجويم الوثنيين وقد شارك فى إحياء هذا العيد اللاويون بأناشيدهم وكذلك جميع سكان إقليميهم وبناء اورشليم الذين وضعوا الأنوار أمام منازلهم رمزا للتوراة التى يعبر عنها الشعراء اليهود بالنور وقرر الإخوة الحشوناييم فى اجتماع عقدوه مع البقية الباقية من أعضاء المجلس الأعلى إصدار قرار هام جداً للمستقبل ألا وهو اعتبار الأيام الثمانية ابتداء من يوم ٢٥ كسليف (نوفمبر) أعياد طهارة العقيدة والمعبد .

ولم يقف الأمر عند هذا بل عاد المكابى إلى تطبيق النظام القديم فى المعبد من حيث تعيين الكهنة واللاويين وأقصى الذين انحرفوا واتبعوا الهلينية عن الخدمة وقد نتجت عن هذه المعاملة نتائج وخيمة إذ تجمع هؤلاء الممزولون وأخذوا يكيّدون للهيئة الجديدة أعنى للحزب الآخر وأدرك المكابيون أن الجويم يستعدون للانتقام والثأر فأخذوا يتحصنون وقد أدركوا أن هناك شعوباً أخرى أخذت تنضم وتطفئ

على السوريين وأخذت هذه الشعوب تتعامل من وجود يهود بين ظهرانهم وقد أدركوا أن هؤلاء اليهود أخذوا يترصون بهم الفرص لـ نقد نفوذ المكابيين وتحقيق مطامعهم الانتقامية التوسعية فوجد الفاسطيين في الجنوب الغربي الفينيقيين في الشمال الغربي والصمونيين عبر الأردن كذلك السوريين والمقدونيين وسائر أفراد الجاليات الأخرى تتعهد لمقاومة التوسع اليهودي وأكثر الشعوب حماساً ضد الطفيان اليهودي كان الآدوميون في الجنوب وهكذا تطور وضع اليهود وضاع الأثر الذي تركه انتصار المكابيين في موقعي «إمباروس» و «بيت صور» ولم تتحقق أطماعهم التوسعية في استعباد الجويم والاستيلاء على أراضيهم وأصبح وضعهم شديداً تماماً بوضعهم أيام نبوخذ نصر الذي إنقض عليهم وسباهم لكي يقضي على عنصر المشاغبة والاضطراب في الشرق الأدنى هذا حالهم أيام «أنطيوخوس» فقد أصبح اليهود يعيشون في جزيرة في بحر من الأعداء الذين يترصون بهم للتغصن منهم تأميناً لسكياتهم ، وقد تحققت هذه المخاوف عندما استمد «يهودا المكابي» لتوجيه ضربة إلى الشعوب المجاورة فهاجم الآدوميين في جنوب فلسطين وطردهم من ديارهم وبعد ذلك هاجم الأردن فأدخل المكابي الرعب في قلوب جيرانه . ولم يكف يجمع المكابي من حملاته هذه إلى أورشليم حتى علم أو ادعى أنه علم أن اضطهاد الحق يبعث اليهود المقيمين في جهات كثيرة سكانها من الهلانيين أعني إقليمي «جلعاد» و «بيسان» و «الجليل» و «عكا» و «صور» و «صيدا» وغيرها فقد حدث أن اليهود النازلين وسط اليونانيين أرسلوا إلى المكابي يطالبونه بالاستيلاء على هذه البلاد بحجة أنهم لا يتمتعون بحريتهم فأوسل «يهودا المكابي» أخاه «شمعون» على رأس جيش صغير إلى الجليل وتوجه هو وأخوه يوناثان إلى الأردن وبقية جيشه وشعبه تحت قيادة قائدين وأرسله إلى غرب إقليم يهوذا لمواجهة الفاسطيين ونجح شمعون بحملته واستولى على الجليل وجمع شمعون يهود الجليل وأجبرهم على الهجرة إلى إقليم يهوذا . أما يهوذا المكابي فقد هزم شر هزيمة أمام الجيش الأردني الذي كان تحت إمرة قائد سوري يدعى تيموشاوس Timotheos وكان ذلك عام ١٦٤ ق م . وفر المكابي وعاد مع من بقي

معه من يهود جلعاد إلى اورشليم وصادف إلى جاء بعد ذلك عيد الأسابيع فاحتفل اليهود به ثم خرج يهودا على رأس جيش محاولا الثأر لنفسه من الهزيمة التي لحقت به وبقائديه الذين تركها لحماية البلاد من احتمال وقوع عدوان عليها وذلك لأن القائدين أرادوا الحصول على نصر طنان رخيصة على الجيش السوري الذي كانت تحت قيادة «جورجياس» Gorgias ومعسكرا في «يعنيا» فدمرهما وأوقع الرعب في اليهود عامة لذلك أراد «يهودا» محو آثار هذه الهزيمة أولا ثم بعد أن يتحقق له هذا يعود إلى تنفيذ البرنامج الذي أعده لتوسيع رقعة إقليم يهوذا فأخذ يترصد الفرص لتنفيذ خطته هذه فاتهز الاضطرابات الداخلية في سوريا والإخطار المحدقة بانطيوخس وخوس واتقضى على الجيش السوري بقيادة «ليزياس» Lysias واضطر إلى الرضاء بالأمر الواقع إلا أن منازعات اليهود الداخلية والخصومات الحزبية وبخاصة تلك التي تناصر الهيلينية تعارضها اليهودية المتعصبة زعزعت المجتمع اليهودي وأدرك بهذا المكابي أن كفة اليهود الهيلينيين أخذت ترجح وأدرك أن شريعته ومعبدته في مهب الريح فسيج المعبد بسور شامخ وأقام عليه بعض الأبراج للدفاع عنه إذا ماهاجمه الجويم واعتقد المكابي أن الفرصة مواتية له لمهاجمة الجويم فحاصره وأعد العدة للقتاء عليهم ونجح نهر من المحاصرين في الهرب والاتصال بالملك السوري الجديد ألا وهورانطيوخوس اويياتور Antiochos Eupator وأخبره عن حقيقة الوضع في اورشليم فما كان من الملك إلا أن ارسل حملة لرفع الحصار عن المحاصرين وضرب اليهود المتمردين متى سنحت الفرصة وقد سنحت هذه الفرصة وذلك في ربيع عام ١٦٢ ق.م وهو عام سبت عام مقدس عند اليهود لا زرع ولا عمل ولا مال والمكابيون يزعمون أنهم حماة الشريعة والشعب مضطروا إلى التقشف وعجز المكابيون عن إدخال المؤن الضرورية للشعب أو الجنود في القلاع التي يدافعون عنها .

فتقدم القائد السوري «ليزياس» في رفقة الملك الشاب «اويياتور» على رأس جيش قوى أعد لضرب اليهود الضربة القاضية وتخليص الشرق من ويلاتهم وما كاد المكابي يبصر هذا الجيش وهذه العزيمة القوية لإبادته إلا وانسحب وحاول الاكتفاء

بالدفاع عن حسى المعبود بيت صور ألا أن قواته لم تستطع الوقوف أمام الجيش
السورى القوى الذى اقتحم اورشليم واضطر للمكابى إلى الوقوف ولم يمكنه الحرب
وهناك عند بيت زكريا بالقرب من بيت صور تلقى اليهود الضربة الأولى فلم يتحملها
المكابى وجيشه فهرب محتفيا بمحصن للمعبود إلا أن اليهود الذين كانوا فى ذلك الحصن
هربوا عن طريق ممرات سرية وهكذا تعرضت اورشليم لنفس الوضع الذى تعرضت
له أيام نبوخذ نصر لكن شاءت الأقدار أن خلافاً بين « ليزياس » وخصمه
« فيليبوس Philippos » الذى جمع فى فارس وميديا جيشاً أراد به انتزاع أنطاكية
من « ليزياس » فلما علم بهذا اضطر إلى نصيح الملك الشاب بعقد صلح مع المكابى
عن أن يترك « ليزياس » المعبد ويكفل للمكابى إقامة الشماثر الدينية اليهودية ولما
يمض زمن طويل حتى عاد الشقاق ثانية بين اليهود أنفسهم من ناحية وبينهم وبين
الأخوة المكابيين أنصارهم من ناحية أخرى وتزعّم خصوم المكابيون — حاخام
يدعى « يواحيم Jojachim » (وفى اليونانية) السكىموس Alkimos » وقد استغل
هذا الحاخام وأنصاره استيلاء الأمير « ديمتريوس Demetrios » الذى كان رهينة
فى روما وهرب منها على الحكم وشرح له « يواخين » كيف أن السلام لن يحل
بالشرق ما لم يتخلص نهائياً من المكابيين والحسيديم مصدر الشر والفتن وأعداء
السلام فاتهم « ديمتريوس » هذه الفرصة ليفرض سلطانه على اليهود ويخلص الشرق
من ويلاتهم وهكذا نجد « ديمتريوس » يسير فى طريق عمه من قبل إلا أنه لم يتعرض
للدين بل عين حاخام أكبر جديداً لجمع البلاد ومنحه علاوة على السلطة الدينية سلطة
أخرى سياسية وإدارية ولتنفيذ هذا القرار أو كل إلى رجل عسكرى جبار يدعى
« بكتيديدس — Bakchides » وأمدّه بقوة عسكرية صغيرة وسيرة إلى اورشليم
فلم يكدهم يعلم الأخوة المكابيون وأنصارهم بنبأ وصوله حتى لاذوا بالفرار إلى الجبال
إلا أن الحسيديم رفضوا الحرب مع المكابيين اعتقاداً منهم بأن الحاخام الأكبر من
نسل هرون لذلك أقبل الحسيديم وكثيرين غيرهم على « بكتيديدس » و « السكىمدوس »
وأعلنوا ولائهم للنظام الجديد والمحافظة على السلام واستقرار الأمن وقد انضم إليهم

أعضاء المجلس الديني الأعلى « إلا أن الأمور تخرجت ثانية ونشبت حرب أهلية بين الطرفين عام ١٦١ ق.م. واتهمز « ديمتريوس » هذه الحصومات وأرسل جيشا تحت قيادة « بكتيديس » فطارد « يهوذا المكابي » في كل مكان حتى اضطره إلى أن يخوض المعركة فالتقى بـ « بكتيديس » في أبريل عام ١٦٠ ق.م. عند ميت ذيتا وسحقه وجيشه وسقط المكابي مدرجا بدمائه وبذلك انتهت أسطورة المكابيين التي كان شعارها « أن دماء الشهداء تثنى الجروح » .

